

سورة الحديد (الآيات: 9-11)

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف دواعي الإيمان بالله والإنفاق في سبيله.
- 2- أن أدرك فضل الإنفاق في سبيل الله والمسارة إلى فعل الخيرات.
- 3- أن أؤمن أن ما أنتفع به من مالي هو ما أنفقته وقدمته لآخرتي.

تمهيد

بعد الأمر بالإيمان والحث على الإنفاق في سبيل الله، تأتي هذه الآيات لتأكيد الثبات على ذلك، حيث أخبر سبحانه أنه نزل على عبده ورسوله محمد ﷺ آيات بينات، ليخرج الناس بها من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وبين دواعي هذا الإنفاق في سبيل الله مذكرا بما أعد الله للمنفقين من أجر عظيم.

فما هي دواعي الإيمان والإنفاق في سبيل الله؟ وماذا أعد الله عز وجل للمنفقين من جزاء؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿فَوَالَّذِي يَنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن قَرَأَ الْقُرْآنَ مِن قَبْلِ الْبَيْتِ وَقَاتِلَ أَوْلِيَاءَ أَعْتَصَمَ رِجَّةَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ

وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ مِنْكُمْ مَنْ أَنْبَقُوا مِنْ قَبْلِ الْقُبُورِ وَقَتْلَ الْأَوْلِيَاءِ أَعْتَصَمَ رَجَاءَ الَّذِينَ أَنْبَقُوا مِنْ بَعْدُ
 وَقَتْلُوا أَوْ كَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْمُحْسِنِينَ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١٠﴾ مَرَّةً إِلَى يَغُضُّ اللَّهُ فَرْضًا حَسَنًا
 فَيُضَاعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ [سورة الحديد: 9-11]

الفهم

الشرح:

آيَاتٍ يَتَتَلَّيْنَ: القرآن الكريم.

الْقُبُورِ : فتح مكة، وقيل: صلح الحديبية.

الْمُحْسِنِينَ : الجنة.

فَرْضًا حَسَنًا : خالصا طيبا.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم ذكر الله تعالى عباده في الآيات؟

2- علام حث الله تعالى في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: هداية القرآن الكريم:

في بداية هذه الآيات يذكرنا الله جل وعلا أنه ينزل على رسوله آيات بينات يهدي بها
 الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُنْزِلُ عَلَيَّ غَافِقَاتٌ مِنْ رَبِّي﴾

أي: هو الذي ينزل على عبده، يعني سيدنا محمداً ﷺ، والعبودية هنا للتشريف والاختصاص ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والآيات هنا القرآن الكريم ﴿يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم. ومن ظلمات الضلالة والأهواء إلى نور الهدى واليقين ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: وإن الله لكثير الرأفة والرحمة بكم، حيث بعث إليكم عبده محمداً ﷺ، وأنزل عليه كتابه الكريم لتهتدوا به، ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية.

ثانياً: الحث على الإنفاق في سبيل الله:

بعد أن أمر الله تعالى الناس بالإيمان والإنفاق في سبيله، وبخهم هنا على ترك الإنفاق في سبيل الله مع قيام أسبابه، فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُبْغُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معناه: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله يرث ما في السموات والأرض إذا فني أهلها. ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنَ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ﴾ الفتح هنا: فتح مكة؛ لأن إطلاق لفظ الفتح في المتعارف ينصرف إليه، وقيل: صلح الحديبية، والأول أظهر وأشهر، والآية تدل على وجود التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك، فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفاً، والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد.

ويؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة أعظم أجراً ممن أنفق في حال الرخاء، وفي الآية حذف دل عليه الكلام تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل. ثم حذف ذلك لدلالة قوله: ﴿أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا﴾ وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ: «لَا تَسْبُوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ،

ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» [صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب باب قول النبي ﷺ: لو كنت متخذًا خليلًا] يعني السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في الخطاب كل من يأتي بعدهم، إلى يوم القيامة. ثم قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَمَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي: كل واحدة من الطائفتين من الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده، وعدهم الله الجنة. وكُلًّا مفعول أول لوعده، والحسنى مفعول ثانٍ.

ثم قال سبحانه: ﴿وَكُلًّا وَعَمَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ والمعنى: أنه سبحانه خبير بأعمالكم، عليم بأحوالكم، وبذلك يمكنه إيصال الثواب إلى مستحقه.

ثم قال سبحانه: ﴿مَنْ أَلَى يَفْرِضِ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا قِيضَ لِعِفْءٍ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق، وذكر لفظ القرض تقريباً للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف. وروي أن الآية نزلت في أبي الدرداء حين تصدق بحائط لم يكن له غيره. وقوله: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي خالصاً طيباً من حلال من غير من ولا أذى وقوله: ﴿قِيضَ لِعِفْءٍ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، وبالرفع على الاستئناف، أو عطفاً على يقرض، وبالنصب في جواب الاستفهام وقوله: ﴿أضعافاً كثيرة﴾ عشرة فما فوقها إلى سبعمائة. وقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» [صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب].

ثالثاً: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مجموعة من مقاصد الإنفاق، منها:

- مجازاة الله تعالى المنفق في سبيل الله على إنفاقه أضعافاً مضاعفة في الآخرة .
- الإنفاق في سبيل الله يحقق النفع للمجتمع والتضامن والتعاون بين أفرادهِ ، مما يساعد على المزيد من الوحدة والتماسك الاجتماعي .
- تزكية النفس وإشاعة المودة والوئام بين الناس من ثمرات الإنفاق في سبيل الله .

التقويم

- 1- كيف يخرج القرآن الكريم قارئه من الظلمات إلى النور؟
- 2- لماذا وبخ القرآن الكريم المسك الذي لا ينفق في سبيل الله؟
- 3- بماذا رغب القرآن الكريم الناس في الإنفاق في سبيل الله؟
- 4 - لماذا كان العمل قبل فتح مكة أفضل من العمل بعد الفتح؟

الاستثمار

روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿مَنْ أَلْفَى يَفْرِضْ لِلَّهِ فَرَضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفْهُ لَهُ﴾ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ . قَالَ : أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : فَنَآوَلَهُ يَدَهُ . قَالَ : فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي - وَلَهُ حَائِطٌ فِيهَا سِتْمِائَةُ نَخْلَةٍ ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا - قَالَ : فَجَاءَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا : يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ ، قَالَتْ لَبَّيْكَ . فَقَالَ : أَخْرِجِي ، فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَتْ لَهُ : رِبْحَ بَيْعِكَ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ ، وَنَقَلْتُ مِنْهُ مَتَاعَهَا وَصِبْيَانَهَا ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «كَمْ عِذْقٍ رَدَّاحٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ» .

[تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: 2/460]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أوضح كيف كان الصحابة يسارعون إلى الخيرات؟

2- ما الذي جعل أبا الدحداح ينفق حائطه في سبيل الله؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 12- 14 من سورة الحديد وأجيب عن الآتي:

- 1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **انْخَضَرْنَا** - **نَفْتَسِرْ مِنْ ثُورِكُمْ** - **قَتَنَتُمْ أَنْفُسَكُمْ** - **وَتَرَبَّصْتُكُمْ** - **وَأَزْتَبْتُمْ** - **الْأَمَانِيُّ**.
- 2- أقرن بين حال المؤمنين وحال المنافقين يوم القيامة.